نداء الإمام الخامنئي
لحجاج بيت الله الحرام سنة ١٣٤١ هجرية

وجه وليّ أمر المسلمين دام ظله، نداءً إلى حجاج بيت الله الحرام لهذا العام، جاء فيه:

" . . إنّ معرفتنا بذاتنا من جديد، تساعدنا نحن المسلمين على أن نعرف المكانة اللائقة بنا في عالم اليوم والغد، وأن نسير باتّجاهها. إنّ تنامي موجة الصحوة الإسلاميّة في عالمنا المعاصر، حقيقة تبشّر الأمّة الإسلاميّة بغدٍ سعيد.

فمنذ أن بدأت هذه الإنطلاقة القويّة قبل ثلاثة عقود، بانتصار الثورة الإسلاميّة و قيام النظام الجمهوري الإسلامي، راحت أمّتنا العظيمة تتقدّم بلا توقّف، وأزالت عقبات من طريقها، واستولت على خنادق.

وإذا كان الإستكبارقد زاد من التعقيد في أساليب عدائه، وبذل جهوداً باهظة التكلفة لمواجهة الإسلام، فذلك بسبب هذا التقدّم نفسه.

إنّ ما يقوم به العدو من عمل إعلامي واسع النطاق لإشاعة الخوف من الإسلام، والجهود المتهوّرة التي يقوم بها لزرع الخلاف بين مختلف الطوائف الإسلاميّة وإثارة العصبيّات الطائفيّة، وما يدأب عليه من اختلاق عدوّ وهميّ للسنّة من الشيعة وللشيعة من السنّة، وبثّ الفرقة والشقاق بين الدول الإسلاميّة، والسعي لتصعيد الخلافات وتحويلها إلى عداوات ونزاعات غير قابلة للحل، واستخدام الأجهزة الاستخباراتيّة والجاسوسيّة لحقن سموم الفساد والفحشاء في صفوف الشباب، فإنّ كلّ ذلك لا يخرج عن كونه ردود فعل مرتبكة وعشوائيّة أمام حركة الأمّة الإسلاميّة المتينة، وخُطاها السديدة في طريق الصحوة والعزّة والحريّة.

اليوم، لم يعد العدوّ الصهيوني عملاقاً لا يُقهر، خلافاً لما كان عليه الحال قبل ثلاثين عاماً؛ ولم يعد الأميركيّون والغربيّون هم أصحاب القرار في الشرق الأوسط من دون منازع، خلافاً لما كان عليه الحال قبل عقدين من الزمن؛ ولم تعد التقنيّة النوويّة وغيرها من التقنيّات المعقّدة بعيدة عن متناول الشعوب المسلمة في المنطقة، ولم تعد بالنسبة إليهم أحلاماً بعيدة المنال، خلافاً لما كان عليه الحال قبل عقد من الزمن.

إنّ الشعب الفلسطيني هو اليوم بطل المقاومة، والشعب اللبناني هو لوحده محطّم الهيبة الزائفة للكيان الصهيوني، وفاتح حرب الـ ٣٣ يوماً (حرب تموز)؛ والشعب الإيراني هو حامل الراية و مقتحم العقبات صاعداً نحو القمم.

إنّ أميركا المستكبرة التي تزعم لنفسها قيادة المنطقة الإسلاميّة، والتي تشكّل الحامية الرئيسيّة للكيان الصهيوني، قد وقعت في الورطة التي أوجدتها بنفسها في أفغانستان، كما أنّها بدأت تنعزل في الساحة العراقيّة بعد كل تلك الجرائم التي ارتكبتها بحقّ الشعب العراقي، وأنّها في باكستان المنكوبة أصبحت مبغوضة أكثر من أيّ وقت مضى.

إنّ الجبهة المعادية للإسلام التي ظلت لمدة قرنين من الزمن تتحكّم في مصير الشعوب الإسلاميّة ودُوَلها بظلم وتعسّف، وتنهب ثرواتها نهباً، تشهد اليوم زوال نفوذها و تصدّي الشعوب المسلمة لها بشجاعة و بسالة.

وفي المقابل، أصبحت حركة الصحوة الإسلامية تتقدّم وتتعمّق أكثر فأكثر على مرّ الأيام.

إنّ هذه الأوضاع التي تبعث على الأمل و تحمل معها البشارة، لا بدّ لها – من جهة – من أن تدفع بنا نحن الشعوب المسلمة إلى مستقبل منشود بثقة أكبر من أيّ وقت مضى، كما ينبغي لها – من جهة أخرى – أن تُبقينا بدروسها وعبرها أكثر وعياً و يقظةً من أيّ وقت مضى. ولا شكّ في أنّ هذا الخطاب العام يجعل علماء الدِّين والقادة السياسيّين والمثقّفين والشباب، ملتزمين أكثر من غيرهم، ويطالب هؤلاء بالمجاهدة والريادة.

يخاطبنا القرآن الكريم بنبرة بليغة وحيّة فيقول: ﴿ كنتم خير أمّة أُخرجَت للنّاس، تأمُرون بالمعروف وتنهَوْن عن المُنكر وتؤمنون بالله ﴾. فإنّ الأمّة الإسلاميّة حسب خطاب العزّة القرآني هذا قد أُخرجَتْ للبشريّة، وإنّ الهدف من وجود هذه الأمّة هو إنقاذ البشريّة وتحقيق الخير لها. كما أنّ الواجب الكبير المُلقى على عاتق هذه الأمّة هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان الرّاسخ بالله تعالى. ولا معروف أسمى من إنقاذ الشعوب من براثن هيمنة الإستكبار الشيطانيّة، كما أنّه لا منكر أبشع من التبعيّة للمستكبرين وخدمتهم. إنّ مساعدة الشعب الفلسطيني والمحاصَرين في غزّة، والتعاطف والتعاضد مع شعوب أفغانستان وباكستان والعراق وكشمير، والمجاهدة والمقاومة أمام العدوان الأميركي والصهيوني، والسهر على وحدة المسلمين، ومكافحة الأيدي القذرة، والألسن العميلة التي تحاول المساس بهذه الوحدة، ونشر الصحوة والشعور بالمسؤوليّة والإلتزام بين الشباب المسلمين في جميع الأقطار الإسلاميّة، كلّ ذلك يُعتبر مسؤوليّات جسيمةً تُلقى على عواتق الخواص من أبناء الأمّة.

إنّ المشهد الرائع الذي يبلوره الحجّ، يرشدنا إلى المجالات الملائمة للقيام بهذه المسؤوليّات، ويدعونا إلى مضاعفة العمل و الهمم".

السيّد علي الحسيني الخامنئي الأول من ذي الحجة الحرام ـ ١٤٣١ هـ ق

الحوزة العلميّة في قمّ

د. علي أكبر ولايتي

مقتطف من مدوّنة قيمة تعرض بالتفصيل لتاريخ الحوزة العلمية في خط مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وتنقلها بين الحواضر الإسلامية، بغداد، النجف، الحلة، وغيرها، وصولاً إلى مدينة قم المقدسة، كتب هذه المدوَّنة الدكتور علي أكبر ولايتي، وزير خارجية الجمهورية الإسلامية الإيرانيّة الأسبق، بمناسبة الزيارة الأخيرة لوليّ أمر المسلمين الإمام الخامنئي إلى مدينة قمّ المقدّسة. مايلي، عرض لمقدمة البحث، والنتائج النهائية التي جاءت بمثابة خلاصة البحث :

انتقلت الحوزة العلميّة إلى قم بجهود الشيخ عبد الكريم الحائري الذي أرسى بنائها بشقّ النفْس، وصبرَ ـ في سبيل حفظها ـ على دخول رضا شاه إلى حرم السيّدة المعصومة عليها السلام منتعلاً حذاءه، وعلى ركْلِ الشيخ محمد تقي البافقي ودَوْسه بالأرجُل.

ومن صميم هذه الحوزة العلميّة نهض الإمام الخميني رضوان الله عليه، وأطاح بسلطان النظام البهلوي، وأقام الحكومة الإسلاميّة على قطب ولاية الفقيه، ما شكّل ـ عملياً ـ أوّل ثورة أصيلة يشهدها العالم الإسلامي ودول العالم الثالث في التاريخ المعاصر، لا تقتدي بالثورة الليبرالية في فرنسا في تموز ١٧٨٩م، أو الماركسيّة في روسيا في تشرين الأول ١٩١٧م.

لقد تمكّنت هذه الثورة من استثارة الغرب طوال ما يزيد على الثلاثين السنة الماضية، وأعادت طرح فكرة (الله) و(الدين) في حياة البشر، سواء منهم المسلمون وغير المسلمين.

وفي المحصّلة، وباختصار:

١ – كان رسول الله صلى الله عليه وآله ومِن بعده الأئمة الأطهار صلوات الله عليهم أجمعين أوّل من أرسى دعائم المحافل العلميّة والتعليميّة في تاريخ الحضارة الإسلامية. وبعد المعصومين عليهم السلام، حذا علماء الشيعة ومن ثمّ علماء السُنّة هذا الحذو بتأثيرٍ مباشر أو غير مباشرٍ من أئمّة أهل البيت عليهم السلام.

٢ – لقد دأب خلفاء بني أُميّة وبني العبّاس والسلاطين العثمانيّون على التشدّد حيال الحوزات العلميّة وعلماء الشيعة في معظم الحقبات التاريخيّة. وقد أورد العلامة الأميني في بعض كتبه أسماء ما يزيد على ١٣٠ عالماً شيعياً قُتلوا بتهمة التشيُّع.

٣- لقد أدّى قيام إمارات أو دول شيعيّة من قبيل الحمدانيّين في الشام، والبويهيّين في فارس، والفاطميّين في شمال إفريقيا، والزيدية في اليمن، والسربداريّة في خراسان، والبهمنيّة في جنوب الهند، والأدارسة في شمال غرب إفريقيا، أدّى هذا الأمر إلى ازدهار الحوزات العلميّة وحريّة عمل الدعاة إلى التشيُّع.

٤- وقف العلماء الشيعة على أهميّة الدعم الذي توفّره الأنظمة الشيعية، وقدروه حقّ قدره، لذا، كانوا يعمدون إلى حمايتها ما أمكنهم ذلك. ولم تكن هذه الحماية من باب التأييد المُطلق لهذه الأنظمة، قدر ما كانت صوناً المظلّة الأمنيّة التي توفّرها تلك السلالات الشيعيّة للدّعاة إلى التشيّع. وتحت هذا العنوان، تُصنّف العلاقة بين الشريف المرتضى والصاحب بن عبّاد وزير البويهيّين، وبين عالم الإماميّة الكبير الشيخ نصير الدين الطوسي وأمير قهستان الإسماعيلي، وبين العلامة الحلّي والسلطان الإيلخاني الشيعي (غازان خان محمود أو محمد الجايتو)، وبين الشهيد الأوّل وسلطان السربداريّة في

سبزوار حيث أهداه بعض مؤلّفاته، والارتباط الرسمي للمحقّق الحلّي بالشاه طهماسب، وللشيخ البهائي بالشاه عبّاس الصفوي، والدعم والتأييد الذي حظيت به حكومة الشاه فتح علي في مواجهة الغزو الكافرين الروس من قِبل السيد محمد المجاهد، والملا أحمد النراقي، ومعهما ما يقرب من ١٤٠ من العلماء والمراجع، وفتوى الجهاد التي أطلقها الآخوند الخراساني دفاعاً عن حكومة إيران الدستوريّة أمام الغزو الروسي سنة ١٣٢٩ للهجرة. وعلى الرغم من هذا الدعم والعلاقة المتبادلة، فقد سعى العلماء بكلّ ما أوتوا من قوّة إلى حفظ استقلاليتهم، وتُشكّل مواقف الميرزا الشيرازي في قضيّة تحريم التبغ نموذجاً مُعبِّراً عن حفظ هذه الإستقلاليّة، مع مراعاة الشكليّات البروتوكوليّة والموقف المبدئيّ الداعم. فقد سطّر الميرزا الشيرازي بادىء الأمر رسالةً ملؤها الاحترام إلى الشاه ناصر الدين ومنعَه من المُضيّ في منح شركة بريطانيّة الحقّ الحصريّ في احتكار تجارة التبغ. فأجاب الشاه ناصر الدين برسالة لا تتّسم بالتّأدّب المطلوب، فثنّى الميرزا الشيرازي بأخرى أكثر صراحة، ردّ عليها الشاه ناصر الدّين بقلّة أدب. وفي المرّة الثالثة، بعد أن يئس الميرزا الشيرازي من الشاه ناصر الدين، أصدر فتواه الشهيرة بتحريم التبغ صيانةً لمصالح المسلمين.

٥- أحياناً، كان يطرأ خلافٌ بين بعض العلماء والنظام الشيعيّ، من قبيل الجفاء المزمن والعلني بين السيد محمد باقر شَفْتي عالم أصفهان الكبير والشاه محمد القاجاري، ولكن عندما اندلعت حرب هرات وأصبح الشاه المذكور في مواجهة مع الأنكليز، أعلن السيد شفتي دعمه للشاه محمد ردّاً على رسالة الوزير البريطاني المُنتدَب (مك نيل) والتي أراد من خلالها زرع الشقاق بينهما.

٦- اليوم، ترفع الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة راية عِزّة الإسلام من عاصمة التشيُّع وعُشِّ آل محمّد، وتصمد من ناحية أمام أعتى وأضرى أعداء الإسلام مثل أميركا و"إسرائيل" وأتباعهما الغربيّين، ومن ناحية أخرى أمام منافقي العالم الإسلامي، في حين تعجز أيٌّ من الدول السبعة وخمسين الإسلامية الأخرى، وما يقرب من مائة وعشرين دولة من دول العالم الثالث، عن هذا الصمود والتصدّي.

وطوال تاريخ الإسلام ـ منذ ما بعد الغيبة وحتى اليوم ـ لم يعمد أيّ نظام على إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام على هذا النحو وبهذا الوضوح وهذه الشموليّة.

ولم يحدث في تاريخ الإسلام، أن بلغت أيٌّ من المدارس أو المعاهد العلميّة ـ سواءً الشيعيّة أو السنيّة، ومن ضمنها المدارس النظاميّة، والمستنصريّة في بغداد، ومدارس بخارى، والأزهر، ومعاهد نيسابور المتعدّدة، وفي الأندلس، والمغرب، والشام، وغيرها ـ من الشَأْوِ والقدرة على التأثير مثل ما بلغته اليوم الحوزة العلميّة في قم.

٧- سياسيّاً، قلّما تمكّنت إيران تاريخيّاً من التأثير في الساحة الدوليّة مثل تمكُّنها اليوم. وقدرة إيران الحالية على التأثير في الساحة الدولية لا نظير لها منذ العهد الصفوي. ويوماً بعد يوم تتعاظم هذه القوّة السياسيّة من خلال إرساء البنى التحتيّة المعنويّة، ورسم الاستراتيجيّات الإسلاميّة، والانحياز إلى أهل البيت عليهم السلام. وفي المقابل تتراصُّ صفوف أعداء إيران.

شخصيّة وليّ أمر المسلمين الجامعة، وإرشاده وتدابيره الحكيمة خلال ٢١ سنة من قيادته، نَظَمت الشعب الإيراني في صفوف متراصّة كَزُبُر الحديد، ومكّنت النظام من أن يجتاز بسلام عقبات خطرة.

لاحظوا تشكيلة ومواقف مجموعة الـ (٥+١)، والدول الصناعية الثمان، والاتحاد الأوروبي، والحلف الأطلسي، ومجلس الأمن الدولي، وقد عزموا على مواجهة دولةٍ تُعدُّ من الدول الأكثر فاعلية في التحوّلات الدوليّة، وهي دولةٌ يُصدَحُ في سمائها ـ صباح مساء ـ بنداء الله أكبر، وشهادة أنْ لا إله إلا الله، محمّدٌ رسول الله، عليٌّ وليّ الله. في هكذا ظروف، يُعتَبر أيُّ خروجٍ على النظام ـ عالماً كان صاحبه أم جاهلاً ـ دعماً لجهود أعداء الإسلام، والتشيّع، وإيران.

٨- الزيارة الأخيرة لوليّ أمر المسلمين الإمام الخامنئي إلى مدينة قم أظهرت كيف أنّ العُروة ما بين النظام، والشعب، والعلماء، لا تزال بعد مُضيّ ٣٢ عاماً، مثل اليوم الأوّل من الثورة، وُثقى لا انفصام لها.

٩- شخصيّة وليّ أمر المسلمين الجامعة، وإرشاده وتدابيره الحكيمة خلال ٢١ سنة من قيادته، نَظَمت الشعب الإيراني في صفوفٍ متراصّة كَزُبُر الحديد، ومكّنت النظام من أن يجتاز بسلام عقباتٍ خطرة، وأن يصون في الوقت نفسه ارتقاءه السريع، وتموضعه الصحيح لأجل بناء الوطن، وتوسعة نفوذ إيران في المنطقة، وفي العالم الإسلاميّ، وعلى الساحة الدولية.

١٠- كلّ ما سلف من البركات النابعة من السَير التكامليّ (الارتقاء نحو الكمال) للحوزات العلميّة الشيعيّة، والتي ربّت في حِجرها شخصيات بارزة ومصيريّة مثل الإمام الخميني قدّس سرّه وولي أمر المسلمين حفظه الله تعالى.